

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٣ —

ثم ماذا؟ ثم يقول الأستاذ سيد قطب في ثالث أدلته على أحكامه: « يقول العقاد في طرافة ودُعابة عن حسان شاطي»

استانلي !!

أنتي كَهْنٌ بقوسه قُزَحٌ وأدبر وانصرف
فلبسَنَ من أسلابه شتى المطارف والطُرفُ

فلا يجد الرافعي في هذه الطرافة إلا أن يتلاعب بالألفاظ فيقول:
فقزح لا ياتي قوسه أبداً إذ لا يتفصل منه . قال في اللسان:
« لا يفصل قُزَح من قوس ». فإذا امتنع فكيف يقال: « أدبر
وانصرف ». أما قزح العقاد، فلعل الخواجه قزح المالطي
مراقب المجلس البلدي على شاطي استانلي الذي قيلت فيه القصيدة
ثم يقول إن هذا المثال « فيه تلاعب وروغان، وهو في هذه
المرّة (التلاعب) أحسن من السابقة، ففي الأولى كان تلاعباً
بصور ذهنية، وهو هنا تلاعبٌ بألفاظ لغوية ! »

أولاً، فمن ذا الذي يفُتَل عن طرافة هذا « الخيال » الذي
يتصور « قُزَحاً » ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان، وهن يتناهن
هذه الأسلاب، بينما هو مدير منصرف، مغلوب على أمره،
لا يستطيع النصفه بمن غلب جاملن جماله !

ألا تستحق مثل هذه الطرافة، ومثل تلك الحيوية ! من
الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان، ينظر هناك، هل
يفصل قوس عن قزح أو لا يفصل؟ ثم يكمل الكلام بنهكم
بارد لا يرد على الفطرة المستقيمة في معرض هذا الجمال !

أهذا هو النقد الذي هو « أقرب إلى المثال الصحيح »؟
وماقلته في المثال الثاني يقال بنصه هنا، فلترجع إليه جماعة الأصدقاء
ثم يعود فيقول عن هذا المثال أنه يمثل « تلاعبه بالألفاظ
اللغوية، والوقوف بها دون ما تُشِمْهُ في الخيال من صور طريفة »
اتتهى كلام الأستاذ الجليل

فيه . وإذا كانت الوزارة قد خففت كثيراً من مثل تلك الفوضى
بأعمال رقابة التعليم الحر فإن الميب لم يزل جسيماً، وبجال التلاعب
والعبث واسع عريض، وممارسة التربية كفن صحيح سليم
لا تكاد تتحقق في هذه المدارس إلا فيها شذ وندر^(١)

وقد نسأل بعد هذا عن تلك الأقوال الكثيرة التي تجنيها
الجمعية من إعانة الوزارة ومصروفات التلاميذ؟ وسأقول لك سل
المرات الشاهقة التي يبينها المدير أو يقاوض في شرائها . وسل
المدرسين المساكين الذين يتناولون الأجر الضئيل ويشاهدون
التضخم المائل الشديد . وسل تلك الأبنية الرطبة القذرة التي
يحدثون فيها التلاميذ بغير حساب !!

ثم ليت الوقت يتسع لأقص عليك طريف ما يحدث في تلك
الدور، أو ليته يسمح بإخبارك أن الطلبة في المدارس الثانوية
الأهلية كالوحوش يرهبهم الناظر لأنه يبني ما لهم، ويخشاهم
الأستاذ لأنهم لا يرهبون أحداً؛ نعم ليته يتسع أو يسمح بذكر
هاتيك الخاوي الكثيرة التي أسمع عنها كل يوم هنا وهناك
فحسبك اليوم ذلك، وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية أخرى
(يتبع)

محمد حسن طائفا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) والسر في ذلك واضح . نفاية المدرسة هي الكسب لا التعليم،
وصاحب المدرسة يريد أن يستغل المدرسين والطلبة إلى أبعد الحدود . وكما
شعر المدرس بالظلم والارهاق احتقر صاحب المدرسة ونهرم بعله وأداه
على نحو ميكانيكي بحث . ولولا تدخل الوزارة أخيراً في ضبط مرتبات
المدرسين لظل أغلبهم لا يتال أجره كاملاً

واعتقد بعد هذا أن بعض المدارس التي تعطىها الحكومة إعانات سنوية
تستطيع أن تستغنى عن هذه الاعانات تماماً بمصروفات التلاميذ ولكن مال
الوزارة فيها يبدو كثير !

التمزج

إذن ألا يقال إن (قُزَح) أدبر وانصرف ، لأنه ليس بذاته يدلّ على معنى ، أو يقع اسماً لشيء بعينه ؛ فهو إذن لا يجوز عليه الاستنادُ إسناد الخبر أو الفعل كاللقاء والادبار والانصراف. فإن التلاعبُ في هذا الرأي باللفظ اللغوي ؟ ولو قد كان وقع في بعض كلام الرافعي فصل أحدهما عن الآخر لأمكن أن يقال إنه يتلاعب باللفظ ، ولكن ذلك لم يكن ... ١

وأما الأستاذ العقاد فقد تقد رواية قبيز في سنة ١٩٣٢ ، — وجعل من ملاحظاته أن هذه الرواية « لم تخلُ من مخالفة للنحو والصرف في القواعد المنصوص عليها » ، وأتى في هذا الموضوع من تقدمه بما خطأ فيه شوقي ، وليس بخطأ يقول شوقي على لسان أحد المجان (ص ٣٢)

أَلَقَدَا أَلَقَدَا الخمرُ تنقُ التَّرَحَا
قصرأ أرى أم قَلَا وشجراً أم قُزَحَا

ثم علق (شوقي) في الوجه (٣٢) نفسه فقال : « قالوا : إن قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم ير بأساً في فصله لسهولته وكفاية دلالاته » انتهى . ونحن نجيز هذا في العربية ولا نذكره قال ذلك شوقي في التعليق ، ثم جاء الأستاذ العقاد في كتابه (رواية قبيز في الميزان) يقول ص ١٥ « ... ويقول (قُزَح) ولا تذكر قزح إلا مع قوس . » وبين أن كلام الأستاذ العقاد ليس عربي المبرارة ، فإن أصحاب العربية منعوا (فصل) قُزَح من قوس ، ولم يمنعوا (ذكر) قزح إلا مع قوس . والفرق بين اللغتين كبير . وبين أيضاً أن هذا ليس تقدماً فإن لم يأت بأكثر من تكرار ما ذكره شوقي في تعليقه ، وكان الوجه أن يبين فساد رأى (الناظم) إذ لم ير بأساً في الفصل للدلة التي ذكرها

ومع ذلك ... فقد كان نقد العقاد في يونيو سنة ١٩٣٢ ، — ولم تمض ستة أشهر أي في يناير سنة ١٩٣٣ حتى فصل العقاد نفسه بين (قزح) وقوس في شعره هذا !! فلعل هذا أن يكون بالتلاعب بالألفاظ اللغوية أشبه ، وبصرف النقد على الهوى أمثل . وأما بيتا العقاد :

أَلْقَى لَمَنْ بِقَوْسِهِ قَزَحٌ وَأَدْبَرُ وَأَنْصَرَفُ
فَلَبَسَ مِنْ أَسْلَابِهِ شَتَّى الْمَطَارِفِ وَالطَّرَفِ

فقد بنى على ألفاظ يدفع بعضها بمضاً عن معنى يولده — من

ومن أعجب المعجب أن يُمدَّ اعتراض الرافعي وتقدمه هذا البيت تلاعباً بالألفاظ اللغوية ، ولا يكون هذا الشعر نفسه قد بُني على التلاعب في غير طائل ، وعلى تكافؤ اللفظ لترميم قافية البيت . وأول ما نقول في هذا أننا نخالف بمض رواية العربية ثم الرافعي في أن يلزم أحد هذا الحرفين صاحبه على كل حالة وفي كل ضرب من ضروب القول

وبيان ذلك أن لأصحاب العربية في هذا الحرف (قُزَح) ثلاثة أوجه من الرأي :

الأول : أن (قُزَح) اسم شيطان ، أو اسم ملك موكل به والثاني : أن (القُزَح) هي الطرائق والألوان التي في القوس ، والواحدة قُزَحَة

والثالث : أن يكون من قولهم : قزح الشيء وقزح إذا ارتفع قلت : وكأنهم أرادوا أن يجعلوه ممدولاً به عن (قازح) ، وهو المرتفع

في الوجه الأول لا يضير أن ينفصل الحرفان ؛ إذ كان (قوس) اسم جنس ، و (قزح) اسم علم بعينه ، وأضيف أحدهما إلى الآخر إضافة نسبة . فهو بمنزلة قولك (كتاب محمد) . ومن هنا جاز أن يبدلوا تسمية العرب الأوائل فقالوا له : « قوس الغمام » و « قوس السحاب » . ويقول ابن عباس رضي الله عنه : « لا تقولوا قوس قُزَح ، فإن قزح من أسماء الشياطين . وقولوا (قوس الله) عز وجل . وعلى هذا يجوز قول القائل : « ألقى قُزَح قوسه » بإضافة القوس إلى ضميره . على أن الشيطان ، أو الملك الموكل بالقوس قد أتى (قوسه)

وأما الوجه الثاني والثالث فلا يجوز الفصل مهما ألبتة على إرادة (الاسم) الذي تعرفُ به هذه الطرائق المتقوسة التي تبدو في السماء . فإن الحرفين على حالهما ينزلان منزلة الكلمة الواحدة إذ ذلك . وللقول في هذا مجال ليس هنا مكانه ولا أوانه

ونحن نرى أن العقاد قد ذهب — وإن لم يرد ذلك — إلى الوجه الأول ، وأن شعره يحمل على رأى جائز في العربية

هذا ، وقد ذهب الرافعي في نقد بيت العقاد إلى رأى أصحاب اللغة في امتناع الفصل بينهما ، وأن الحرفين كالكلمة الواحدة على تنابهما . وعلى ذلك لا يقال « ألقى (قُزَح) قوسه » وأولى

فأخذن منها (شئ المطارف والظرف) لكان أجود وأقرب إلى الاتقان . أما إعلان الحرب بينهما فليس جيداً ولا براعة فيه كما رأيت

وقد أجاد ابن الرومي — ويقال إنها لسيف الدولة — إذ يقول:
وقد نشرت أيدى الجنوب (مطارفاً)

على الجو دكناً، والحوائث على الأرض
بطرزها (قوس السحاب) بأصفر

على أحمر في أخضر وسَط مُبْيَضِ
كأذيال خورٍ أقبَلت في غلائل

مُصَبَّغَةٍ والبعض أقصر من بعض
وهو قريب جيد في الوصف

ونحن لا نذهب مع الأستاذ قطب فيما يتخير من اللفظ لوصف هذا الشعر وما فيه ، بذكر (الطرافة) و (الدعابة) و (الخيال) و (الحيوية) و (معرض الجمال) ، وما إلى ذلك من ألفاظ لو أقيم ضدها مكانها لتمام ، إذ كان لا يبين أسبابها ولا يوجه معانيها ولا يأتي كلامه في مثل ذلك إلا على طريقة صاحب كتاب (الوشى المرقوم في حل المنظوم) إذ يقول : « أولاً فنذا الذي يغفل عن طرافة هذا « الخيال » الذي يتصور « قزحاً » ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ... الخ »

وقد وضع الآن أن ليس في كلام الراقعي تلاعب بالألفاظ اللغوية ، وأنه ليس في هذه الألفاظ ما يجعلها « تشع في الخيال صوراً طريفة » ، وذلك لما ذكرنا من تخالف ألفاظها وتداخلها وُبعد صورها عن جودة التوليد ، إذ كانت هذه الصور مولدة من اللفظ على غير نسق متصل أو طراز جميل

ثم .. أتى الأستاذ قطب بالثال الرابع فقال : « ويسمع العقاد صيحات الاستنكار للهو الشواطي » ، وما تعرض من جمال ، فيصيح صيحة الفنان الحى المعجب بالحيوية والجمال :

عيد الشباب ، ولا كلام ، ولا ملام ، ولا تحرف

فاذا الراقعي يقول : « إن غاية النيات في إحسان الظن بأدب العقاد أن تقول إن في هذا البيت غلظة مطبعية ، وأن سوابه :

عيد الشباب ، فلا كلام ، ولا ملام ، (بلا حرف) !
ثم يقول بمد إن هذا المثال يفتيه الراقعي عن الحديث فيه

لفظ (القوس) التي هي من آلات القتال . وكان سبيل التوليد هكذا : القوس من آلات القتال ، واستعيرت للطرائق في السماء مضافة إلى (قزح) ، فيكون ماذا لو أنشأ من لفظ هذا القوس صورة للقتال بين (قزح) وبين جيالات شاطيء ستانلي ؟ ويكون ماذا لو زعم أن الجيالات اتصرن على (قزح) صاحب القوس ، فأنتي سلاحه ثم أدبر وانصرف ؟ ويكون ماذا لو جعل ألوان (قوس قزح) أسلاباً كأسلاب المحاربين في القتال ظفر بها الجيالات بدمانهم (قزح) ؟ ويكون ماذا لو زعم أنهم أخذن هذه الألوان مطارف وطرفاً يلبسها ويتحلين بها ؟ وهكذا

وهو توليد كما ترى وتوليد من لفظ واحد . ونحن لا نرى بأساً — وإن كنا لا نرضيه — أن يأتي الشاعر بالمعاني مولدة من ألفاظ اللغة ، فإن من بعض اللفظ في المرية لما يضرم الفكر ويؤثر المعاني ويستفر الخيال إلى أعلى مراتبه . على أن هذا لا يتحقق إلا أن نستقيم الطريقة للفكرة ، ويتراحب المجال للمعاني ، ويسمو المدى بالخيال ، على أن تصح المقابلة بين معاني اللفظ وسائر الصور التي تتولد منه

والمقابلة في هذا الشعر فاسدة باطلة . فهي مقابلة بين (قزح) وبين الجيالات على شاطيء ستانلي ، ثم بين الطرائق المقوسة ذات الألوان في السماء (القوس) وبين ما ترتديه الجيالات من مطارفهن . وكان حق المقابلة أن يكون (قزح) هذا مشتهراً بالجمال موصوفاً به ، حتى إذا ما ذكر في معرض الكلام عن الحسان الجيالات تمت المقابلة بينه وبينهن . فإن لم يكن ذلك كذلك ، فلا أقل من أن يكون في الشعر ما يدل على سبب (حالة الحرب) التي أنشأها الشاعر بين حسان شاطيء ستانلي ، وبين العم (قزح) ، ثم ما كان من علة لالقاء سلاحه ثم انهزامه وإدباره

فأما إذ لم يكن (قزح) جيلاً ، ولم يأت الشاعر بسياق جيد لهذا التوليد ، فقد بطلت الأفعال التي أسندها إلى (قزح) من إلقاء قوس وإدبار وانصراف ، وما أضافه إليه من الأسلاب ، وصار كله لغواً لا فن فيه . وهذا الضرب خاصة من ضروب الشعر الذي يتضمن التصوير والوصف لا يأتي جيده إلا على دقة الملاحظة ، وتقدير النسب بين الألفاظ والمعاني والصور . فلو اقتصر الشاعر فجعل (قزح) يهدي إلى الحسان محاسن قوسه ،

بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

— ٤ —

الآن تحدث الأستاذ شاكر — حديثاً ما — في الموضوع الذي نحن بصدده ، وإن كان حديثاً « رافعيًا » على الطريقة التي بينت مانيها من استغراق وقصور ، ولكنه على أية حال شيء غير اللز والتعريض — وإن لم يخل منها — فالآن يستطيع الانسان أن يلتقي باله إلى هذا الذي قيل ولما كانت لي بقية من حديث عن الرافعي ، فأجمل نقاشي مع الأستاذ شاكر ، بقية لهذه البقية في كلمة أخرى

وعدت أن أعرض من أساليب الرافعي نماذج غير ما عرضت تأخذ في نهج آخر ، ولكنها تصل إلى الهدف الأول ، من إثبات طبيعته كما عرفت ، بالنماذج والأمثلة

وأنا ماض في طريقي هذا ، لا يحوطني عنه ما يبدو من بعض أسدقاء الرافعي من تمريض أو إنارة ؛ ولن يستفزني ما يكتبون فأحيد عن نهجي الهادي

وطريقي في هذا الموقف أن الرافعي قدم مات ، وله نوع من الأدب ، فسأناقتس أدبه هذا ، وما يدل عليه من نفسه وذهنه نقاش الناقد الطمئن لما يقول

وله أسدقاء أحياء ، فسأناقتهم حسبما يكونون هم : نقاداً أو متهمين . ولن أخلط بينه وبينهم في الحساب ، فلا ذنب للرجل فيهم ، ولا تبعه عليه بمد موته فيما يصنعون ! تلك طريقي . وهي ترضيني ... !

قلت : إن الرافعي أديب الدهن ، ولكنه الدهن المتوى الماظل الداخلة . واليوم أقول هذا ، وأزيد عليه : أنه « الدهن الشكلي » الذي تلهيه الأشكال والسطوح عن الكنه والأعماق ، والذي لا يلمح فرقا بين صورة وصورة ، ما دام ظاهرهما متشابهاً . فإن أراد أن يطبق أمراً على أمر ، أخذ في قياس الزوايا والخطوط ولم يلق باله لحظة إلى ما في طبيعة كلا الأمرين من خلاف أو زيادة ونقص في بواطن الأجزاء . وإليك البيان :

« فهو لم يزد على أن أورد البيت ، ثم استملى دون استيعاب ما يعبر عنه من روح الفنان الملى ، الموكل بالجمال حيناً وجد ، وكيفما كان ، الهازي بحرف التقليد ، وقبور العرف ، ولم يجد ما يقوله إلا « بلا عرف » وهو قول لا تعلق لنا عليه »

ثم يعود فيقول : إن هذا يمثل هروب الرافعي « من مواجهة النقد الصحيح إلى المراوغة وكسب الموقف — في رأيه — بنكتة أو نهك أو شتيمة »

وأما لا أعجب لكلام الأستاذ سيد قطب ، لأنه على طريقتة في حل المنظوم ، وإن أعجب فمعجبي لصاحب « وحى الأربعين » كيف ارتضى أن يثبت البيت في قصيدته ، وفي عقب هذه القطعة بالذات ، وينتقل من الوصف والتأمل وإمتاع النظر ، وإمداد الفكر بأسباب من الجمال ، أو كما يقول الأستاذ قطب من الطرافة والدعابة والخيال والحيوية ؛ إلى صيحة الاستنكار والتفزع بقوله : « فلا ملام ولا كلام » ثم الغضب الذي لا يتورع في قوله : « ولا خرف » . إن هذا الانتقال ليس من منطق الفن ولا من نهجه وسبيله وما أظن الرافعي أراد أن يتقد البيت — لأنه ليس بسبيل مما يحسن أن يُنقد ، وإنما وضعه هكذا للمقاد وهو يريد ما قلناه في كلمتنا الأولى مما جرته المداوة التي اضطرت بينهما

وبعد فقد قرأت كلمة الأستاذ الجليل المهذب سيد قطب في البريد الأدبي من العدد السالف من الرسالة ، وقد أعلن فيها بعض رأيه فيما نكتب ، وحكم بحكمه على ما قلناه ، وحاول أن يتهم ، ووعظ وذكر . ونحن ندعه لما به عسى أن يرى يوماً غير هذا الرأي ، وله الشكر أحسن أو أساء

محمود محمد شاكر

البديل

قصة جديدة

للأستاذ محمود تيمور

نشرها الرواية في عدد أول يونيو